

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

لَقَدْ نَادَى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ فَقَالَ ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>١</sup> هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ<sup>٢</sup> ۚ إِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ لَعِبْرًا كَثِيرَةً. فَإِنَّ صَالِحًا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَعْدَ أَنْ دَعَا قَوْمَهُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، ذَكَرَهُمْ عَقِبَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنَ التُّرَابِ، وَمُكَلَّفُونَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِعْمَارِ هَذِهِ الْأَرْضِ وَإِحْيَائِهَا وَإِصْلَاحِهَا. وَقَدْ نَبَّهَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى أَنْ نُحَافِظَ عَلَيْهَا بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَلَا نُفْسِدَ فِيهَا، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾<sup>٣</sup>.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَعْرَاءُ!

بِمُكَانِنَا أَنْ نُنْذِرَكَ عِظَمَ مَعْنَى الْفَسَادِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ جِنَازَةٌ فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ»، فَقَالُوا: مَا الْمُسْتَرِيحُ وَمَا الْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ. وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالِدَوَابُّ»<sup>٤</sup>. فِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ مُكَلَّفٌ بِالْحِفَافِ عَلَى الْعِبَادِ وَعَلَى الْبِلَادِ وَعَلَى النَّبَاتِ وَعَلَى الدَّوَابِّ، وَأَنَّ الْإِضْرَارَ بِهَا وَإِهْمَالَ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ إِفْسَادٌ لَهَا.

إِخْوَتِي الْأَفْاضِلُ!

طَبَعًا، لَا يَتَعَمَّدُ أَحَدُنَا الْإِضْرَارَ بِالْبَيْئَةِ. لَكِنَّ التَّطَوُّرَاتِ النَّاتِجَةَ عَنْ حَرَكَةِ التَّصْنِيعِ، تَجْعَلُنَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ شُرَكَاءَ فِي الظُّلْمِ وَالْإِضْرَارِ. الْإِنْسَانِيَّةُ الْيَوْمَ، بِهَدَفِ اسْتِرَادَةِ الْأَرْبَاحِ التَّجَارِيَّةِ، قَدْ تَبَنَّتْ نَمَطًا مِنَ التَّصْنِيعِ يُؤَدِّي إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَشَاكِلِ الْبَيْئَةِ. حِرْصُنَا عَلَى الرَّبْحِ، وَالَّذِي لَا يَعْرِفُ فُتُورًا وَلَا وُقُوفًا عِنْدَ حَدٍّ، يُسَبِّبُ تَخْرِيبَ الطَّبِيعَةِ. الدُّوَلُ الْيَوْمَ لَا تَرَى بِأَسَا فِي أَنْ تُقِيمَ تَنْمِيَّتَهَا الْاِقْتِصَادِيَّةَ عَلَى حِسَابِ آفَاتِ طَبِيعَتِهَا مِثْلَ تَلَوُّثِ الْبَيْئَةِ وَالْإِحْتِرَارِ الْعَالَمِيِّ. وَلَا تَقْتَصِرُ الْآفَاتُ النَّاتِجَةُ عَنْ حِرْصِنَا فِي هَذَا الْعَصْرِ، عَلَى الْمَشَاكِلِ الْبَيْئَةِ فَحَسْبَ.

بَلْ تَتَعَدَّهَا إِلَى الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ الْأُخْرَى الَّتِي تُشَارِكُنَا فِي الْحَيَاةِ عَلَى وَجْهِ هَذِهِ الْأَرْضِ. يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُّوهَا صَالِحَةً»<sup>٥</sup>. فَنَحْنُ إِذَا اعْتَبَرْنَا هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ مُجَرَّدَ أَمْتَعَةٍ تُكُونُ اللَّحْمَ فِي طَعَامِنَا، نُصْبِحُ بِطَرِيقِ غَيْرِ مُبَاشِرٍ مُؤَيَّدِينَ لِلنِّظَامِ الرَّاهِنِ. وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْإِطَارِ، هُوَ اجْتِنَابُ الشَّرَكَاتِ الَّتِي تُخْلُ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ إِذْ تَسْتَغْلُ الْعَامِلِينَ الْوَافِدِينَ مِنَ الدُّوَلِ النَّامِيَّةِ بَحْثًا عَنْ لُقْمَةِ الْعَيْشِ. فَلَا يَلِيقُ بِالْمُسْلِمِ أَلْبَسَةَ أَنْ يُفَكِّرَ: «إِنَّمَا يَهْمُنِي أَنْ يَكُونَ رَخِيصًا». يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَدْلُ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعِلِهِ»<sup>٦</sup>. وَمَنْ عَمَلَ الْخَيْرِ أَنْ نُنَبِّهَ مَنْ حَوْلَنَا إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ. فَفِي الْأَمَانِيَا عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، تُرْمَى سَنَوِيًّا حَوْلِي ثَلَاثَةُ مِليَارَاتٍ مِنَ الْأَكْوَابِ الْمَصْنُوعَةِ لِاسْتِخْدَامِهَا مَرَّةً وَاحِدَةً<sup>٧</sup>. فَبَدَأَ بِأَنْفُسِنَا، يَنْبَغِي أَنْ نُقَلِّلَ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ مِنْ اسْتِهَاكِنَا لِلْبِلَاسْتِكِ، أَمَلًا فِي تَرْسِيخِ وَنَشْرِ الْوَعْيِ الْبَيْئِيِّ.

إِخْوَتِي الْكِرَامُ،

مِنَ الْمُؤَسِّفِ أَنْ نُشَاهِدَ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ، الْكَثِيرَ مِنْ مَظَاهِرِ مَا تَحَدَّثْنَا عَنْهُ رَغَمَ أَنْ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَنَا بِأَنَّهُ اسْتَخْلَفَ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ اسْتَأْمَنَّا عَلَيْهَا. إِذْرَاكَ هَذَا الْأَمْرَ وَالتَّصَرُّفُ عَلَى وَعْيِ مِنْهُ، أَلْيَقُ مَا يَكُونُ بِالْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ الْعَازِمِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ عَلَى الْاِسْتِسْلَامِ لِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى. يَقُولُ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا \* وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا \* وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا \* يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾<sup>٨</sup>. فَالْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيَنْطِقُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَنْطِقُ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَمُنْكَرٍ وَقَعَ عَلَيْهَا.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُوفِّقَنَا لِلتَّعَامُلِ مَعَ كَوْنِهِ وَاعِينِ أَنَّهُ أَمَانَةٌ عِنْدَنَا، لَا مَلِكُ لَنَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الْفَائِزِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا شَاهِدَةً لَنَا، لَا عَلَيْنَا. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرَ عَلَيْهِ.



<sup>٤</sup> سنن أبي داود، كتاب الجهاد، ٤٧، الحديث رقم (٢٥٤٨)

<sup>٥</sup> جامع الترمذي، كتاب العلم، ١٤، الحديث رقم (٢٦٧٠)

<sup>٦</sup> Deutsche Umwelthilfe: [www.duh.de/becherheld-problem](http://www.duh.de/becherheld-problem)

<sup>٧</sup> سورة الزلزال: ١-٤

<sup>١</sup> سورة هود: ٦١

<sup>٢</sup> سورة الأعراف: ٥٦، وانظر سورة الأعراف: ٨٥

<sup>٣</sup> صحيح البخاري، كتاب الرقائق، ٤٢، الحديث رقم (٦٥١٢)؛ صحيح مسلم،

كتاب الجنائز، ٢١، الحديث رقم (٩٥٠)